Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (5), Issue (1): 30 Jan 2021
P: 46 - 58

ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (5)، العدد (1): 30 يناير 2021م
ص: 46 - 58

Racism in Arabic literature: Glimpses from Poetry, novel and folklore

Alaa Fahti El-Gabry
Suez University || Egypt
Mohamed Ibrahim Elaskary
Hankuk University || South Korea

Abstract: This paper discusses the idea of racism in Arabic literature. It mainly focuses on the subjective representation of black people as early as the pre-Islamic era until the modern ages. We trace the subjective representation of black people in poetry, the novel and folklore. In this paper, we do not intend we defend the Arabic culture or Arabic literature nor do we aim to beautify the biased representation of people of color in Arabic writings. Rather, we will try to study this phenomenon in an objective and balanced way. In this regard, we would like also to reiterate the fact that the image of black people in Western literatures is not in any way brighter than their depiction in Arabic literature.

Keywords: Arabic literature, Arabs, black people, race, racism.

ظواهر عنصرية في الأدب العربي - ملامح من الشعر والرواية والسير الشعبية

علاء فتحي الجابري
جامعة السويس || مصر
محمد إبراهيم العسكري
جامعة هانكوك || كوريا الجنوبية

الملخص: يتناول البحث فكرة العنصرية التي حضرت بكثرة في الأدب العربي، ويركز هذا البحث على تصوير السود بشكل غير موضوعي بداية من العصر الجاهلي وحتى عصرنا الحديث، نرصد حالة عدم الموضوعية التي اتسم بها تصوير الشخصيات السوداء في الشعر والرواية والأدب الشعبي، وليس هدفنا في هذا البحث هو الدفاع عن الثقافة العربية أو الأدباء العرب ولكننا سنحاول أن ندرس هذه الظاهرة من وجهة نظر موضوعية ومحايدة، وفي هذا الصدد نود أن نشير إلى أن صورة السود في الآداب الغربية لم تكن بحال أفضل من مثيلتها في الأدب العربي.

الكلمات المفتاحية: الأدب العربي، العرب، السود، العرق، العنصرية.

1. مقدمة

نتناول في هذا البحث مشكلة العنصرية ضد أصحاب البشرة السمراء في الأدب والثقافة العربية، لا ندعي أننا في هذا البحث أن نفي هذه القضية حقها ولكننا سنعرج سريعا إلى أهم محطاتها ندرسها ونحللها. قد يبدو عنوان البحث مثيرا للجدل، غير أننا نواجه أنفسنا-كباحثين أكاديميين- بما يخجل منه غيرنا، ولا نعتقد أن كشف عيوبنا يحطُّ من قدرنا، بل نعدُّ ذلك طريقًا بديهيًا للإصلاح. لقد تنوعت ألوان العنصرية بين اللونية أو العرقية ضدَّ أصحابِ البَشرةِ السَّوْداءِ ما بينَ اللَّونية والعرقية، وبرزت عنصرية ضد أبناء الشعوب الأخرى، خاصَّةً تلك التي اصطُلِحَ على تسميتها بالـ "الشعوبيَّة"؛ وهي عنصرية مارسها أصحاب الأجناس الأخرى ضد الجنس العربي.

ولا تقتصر العنصرية على التحيز للون ضد آخر؛ فالكافر منبوذ كما يقال في المثل الشعبي المصري (حاله يصعب على الكافر) كما لو كان هذا الكافرُ متبلِّدَ الإحساس، أو الغرب الذي لا يأتي منه إلا (وجع القلب)، إنه نوع من التعصب للشرق في مقابل الغرب، أو رفض الغرب ابتداء، فنتوقع الشرور منه دون غيره.

لقد ذلَّلَ الأدب ركابَهُ لهذهِ الظَّاهِرة، فانعكست فيه شعرًا، وروايةً، وتجاوزت الشعر والنثر فطالت كثيرًا من السِّيرِ العربيَّة مثل سيرة "عنترة بن شداد" و"ذات الهمة" و"سيرة بني هلال". إننا لا نعلم على علمَ يقينٍ ما إذا كان الأدب الرسمي قد تناول مسألة العنصرية بالدراسة في نماذج منه بقدر ما نوقنُ أنها ظاهرةٌ مستشريةٌ في الأعمال الأدبية المحلية والعالمية؛ إذ يَعجُّ الأدب بأشكالٍ من اضطهادِ ذوي البشرة السوداء في الأمم المختلفة، وفي أنماطٍ مختلفةٍ من الشعر والنثر، وذلك منذ قرون عدة وما زال قائما حتى يومنا هذا.

ومن نماذج شكوى عنترة من لونه الأسود، وافتخاره به في الوقت نفسه شدية الانتشار على مدى ديوانه، ليظهر تردده بين حالة الفخار بلونه، وحالة العتب على المجتمع في حسابه على ما لا يد له فيه، ومن ذلك:

قوله مخاطبا عبلة مفتخرا بلونه الأسود:

تعيرني العدا بسواد جلدي*** وبيضُ خصائلي تمحو السوادا

وتارة يعتذر عن لونه الأسود:

لئنْ يعيبوا سوادي فهو لي نسبٌ*** يومَ النزالِ إذا ما فاتني النسب

ويقول لائما للمجتمع، ومضمنا تقديما للون الأبيض

ويعيبون لوني بالسواد جهالة*** ولا سواد الليل ما طلع القمر

وإن كان لوني أسود فخصائلي*** بياض ومن كفي يستنزل القطر

وقال معتبرا اللون الأسود لونا من المرض يحتاج "دواء":

لئن أكُ أسوداً فالمسكُ لوني *** ومَا لِسوادِ جِلدي منْ دواء

وَلَكِنْ تَبْعُدُ الفَحْشاءُ عَني*** كَبُعْدِ الأَرْضِ عَنْ جوِّ السَّماء

وقال:

وإن كان جلدي يرى أسوداً *** فلي في المكارمِ عزٌّ ورتبهْ

وقال:

شبيه الليل لوني غير أني*** بفعلي من بياض الصبح أسنى

جوادي نسبتي وأبي وأمي*** حسامي والسنان إذا انتسبنا

وقال:

وإن يعيبوا سواداً قد كسيتُ به*** فالدرُّ يستره ثوبٌ من الصدف

وقال:

ومن قالَ إني أسودٌ ليعيبني*** أريهِ بفعلي أنه أكذبُ الناسِ

وقال:

سوادي بياضٌ حين تبدو شمائلي*** وفعلي على الأنسابِ يزهوَ ويفخر

وقال:

يعيبون لوني بالسواد وإنما*** فعالهم بالخبث أسودُ من جلدي

وقال:

وأنا الأسودُ والعبدُ الذي *** يقصدُ الخيلَ إذا النقع ارتفع

نسبتي سيفي ورمحي وهما *** يؤنساني كلما اشتدَّ الفزع

2. العنصرية اللونية

1. جذور العنصرية اللونية

إن العنصريَّة اللونية متأصلة الجذور في العالم العربي منذ العصر الجاهلي، وبالتالي يصعب ربط العنصرية بأسباب سياسية أو عزوها إلى الاستعمار الأوربي الذي طال العالم العربي من القرنين الثامن عشر إلي منتصف القرن العشرين-على غرار تجربة جنوب أفريقيا-؛ ربما لأنَّ الأمر متأصِّلٌ عندنا، كما أن صمودها في وجه حركات التحرر يقودنا إلى إدراك أن الإنذار بخطورتها في العالم العربي أمرٌ غير مبالغٍ فيه، فقد انعكس التوجُّه الطبقيُّ على الأدب وجوانبه الثقافية.

عانى أصحاب البشرة السمراء من العنصرية والظلم لمئات القرون فى كل بلاد العالم تقريبا، فقد عانوا من سيطرة التفرقة العنصرية عبر العصور الجاهلية، وفى الحقبة المسيحية قبل الإسلام وحتى عندما ظهر الإسلام ونادى القرآن بالمساواة بين البشر وعدم التفرقة بينهم على أساس اللون أو العرق أو الدين، كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (سورة الحجرات:13) أو كما في الحديث الشريف "لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى". صحيح أنه قد تحسنت نظرة المسلمين عامة والعرب خاصة لأصحاب البشرة الداكنة (أو حتى ذات البشرة الشقراء) ولكن الوضع لم يكن مثاليا فقد استمرت المعاناة والتهميش بدرجة أو بأخرى حتى يومنا هذا.

لم تقتصر معاناة أصحاب البشرة السمراء على منطقة على منطقة الشرق الأوسط وسط بل امتدت إلى أوربا فى العصور الوسيطة ومنها إلى العالم الجديد فى حينه (أميريكا اليوم) حيث تم أسر عشرات الآلاف من الأفارقة السود وأخذهم عنوة من إفريقيا في سفن حملتهم تارة إلى أوربا وأخرى إلى المستعمرات الأوربية الجديدة في القارة الأمريكية الناشئة حينذاك، وقد عانى هؤلاء الأفارقة أشد المعاناة تحت وطأة الاستعباد والعمل القسري منذ ذلك الحين وحتى منتصف القرن العشرين.

2- منهج البحث

يتوجه البحث – إلى حد بعيد- صوب النقد الثقافي الذي يريد-بانفتاحه المنهجي- كشف المستور، وفضح العيوب الثقافية لدي عدد غير قليل من العرب، وتسليط الضوء على مواطن الأزمات الداخلية. والعادة، فالعربُ قد يخجلونَ-أحيانا-من أشياء معيَّنةٍ موجودة عندهم على الرغم من وجودها عند غيرهم من المجتمعات الأخرى. فكما كانت حياة ذوي البشرة السمراء بائسة في معظمها سواء داخل قارته السمراء وظروفها الصعبة أو عندما أخذهم الأوربيون أسرى منذ القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين للعمل كعبيد للسيد الأبيض سواء في أوربا أو في العالم الجديد آنذاك أو ما يسمى اليوم بأمريكا، فإن صورته في معظم الآداب العالمية تقريبا كانت سلبية أيضا، فلم تبرح الشخصية السوداء مكانها المهمش أو الإكليشيهي في مسرحيات كريستوفر مارلو (Christopher Marlowe) ولا فولتير(Voltaire) ولا حتى شيسكبير(William Shakespeare)، عدا مسرحية عطيل. إننا نجد خارج الوطن العربيّ أعمالًا أدبيةً كثيرةً تسيءُ إلى ذوي البشرة السوداء، مثل "كانديد" لفولتير(Voltaire) ،، و"تمبكنو" لموباسان (Guy de Maupassant)، وإلى حد ما عطيل لشكسبير (William Shakespeare)، حتى تغيرت النظرة إلى حد بعيد مع أعمال سارتر (Jean- Paul Sartre) وتينيسي وليامز(Tennessee Williams) ، غيرَ أن عملًا أدبيًا مثل "عطيل" يظل حاضرًا بقوة. في "عطيل" إن الصراع المستتر بين سوادِ عطيلٍ وبياضِ ديدمونةَ خلقَ رجلين؛ أحدهما بغيضٌ والآخر زكي،

أحدهما أسود كالفحم والآخر أبيض كالثلج. هذه حقيقة رمز الأسود والأبيض في مأساة عطيل، أو هكذا ينبغي أن تُفهم. إنها ليست مجرد مسألة تقابلٍ بين الرجل المغربي الأسود وفتاة مدينة البندقية الأوربية البيضاء، ولكنها تقابل بين الشر والخير، وبين الظلام والنور داخل النفس وخارجها على المستوى الشخصي والمستوى العالمي"[1]

ولسنا نبالغ إن زعمنا وجود العنصرية- بمعنى من معانيها- في كل المجتمعات وفي مختلف العصور، فمن الشواهد على ذلك الصراع الأمريكي القديم الذي خاضه السود من أجل الحصول على بعض حقوقهم الأساسية والقانونية. لقد استغرق الأمر كفاح سنوات طويلة خلال القرن العشرين على أيدي أبطال من أمثال مالكوم إكس(Malcolm X) (19مايو 21 - 1925 فبراير1965)، أو في بلاد أخرى مثل جنوب أفريقيا التي لم تتخلص من التفرقة العنصريَّة إلا منذ سنوات قليلة، بعد جهودٍ مضنيةٍ بذلها مناضلون مثل "نيلسون مانديللا" (Nelson Mandela) حتى نالت الأغلبية السوداء حقوقها في أواخر القرن العشرين.

تعددت مظاهر التمييز بين "اللونين"، واستمر الأمر حتى العصر الحديث الذي نجد فيه مدارس خاصة بالسود يتم فيها تقديم نوعية مختلفة من التعليم؛ اعتمادا على وجهة نظر ترى في السود بشرا ذوي قدرة محدودة على التعلم ويبدو أن الأمر مرتبطا ببعض المظاهر حتى اليوم، فنحن نشاهد تطرفا في بعض مباريات كرة القدم إلى الحد الذي تُفرض فيه عقوبات على بعض الأندية حين يطلق جمهورها صيحات عنصرية، أو يتصرفون بطريقة غير مهذبة حتى إن بعضهم يُلقي الموز[2]، وثمار الفول السوداني على بعض اللاعبين من ذوي البشرة السمراء ليربطوا بينهم وبين القرود في إشارات تبلغ أقصى درجات التطرف الخارج عن حدود اللياقة. لقد وجدت العنصريَّةُ عند العرب قديما، وقد فسر بعضهم اللون الأسود تفسيرات غريبة؛ فابن جرير يذهب إلى القول بأن السبب في السواد هو دعوة نوح على ابنه "حام"، حين انكشفت عورته"[3].

3. العرب والعجم

وعلى الرغم من أن العرب يرون غيرهم "أعاجم"؛ بمعنى أنهم يقلون عنهم في المروءة والشرف، فإن التحيُّزَ العنصري بسبب اللون ليس سمة عربية، وإن حمل شيئا من المبالغة في فترات طويلة. هذه مسألة بديهية، فقدماء المصريين كانوا يرون الإنسان المصري نموذجا للإنسان الكامل، وأنه يسبق غيره بدرجات كثيرة؛ فيقف الإنسان اليوناني-مثلا- عند الدرجة السادسة. ويرى الفرنسيون أنفسهم "معدن الحضارة"، وكذلك فالإنجليز هم "السادة "، أما الروس فيحملون على عاتقهم "إصلاح العالم" من خلال مفاهيمهم المادية الجدلية، والألمان يعلنون "تميز جنسهم الآري". والحق أن العرب قد بالغوا في حملتهم ضدَّ "ذوي البشرة السوداء" حتى ترسخت عند العرب صورة سلبية تجاه الأحباش والسود، جعلتهم دائما محل استنكار من جهة، ومصدرا للشك من جهة أخرى، ولم ينسوا أنهم دخلاء على الثقافة العربية، وطارئون عليها. إن الصراع قديم بين السكان الأصليين وأولئك الطارئين على بلاد العرب، ربما يعود إلى ما قبل ظهور الإسلام بنصف قرن، بداية من احتلال الأحباش لليمن، وحكمها مدة تزيد على نصف قرن، وخضوع العرب لحكم)أبرهة الحبشي). ولعلنا نلاحظ أن "أبرهة" الحبشي لم يُعرف بأنه حاول هدم الكعبة، ولكنه معروف عندنا بلونه الأسود.

---

(1) لويس عوض: البحث عن شكسبير، دار المعارف، 1968، ص133.

(2) أحمد الخطيب، "«داني ألفيس» يأكل موز العنصرية المفيدا"، موقع ساسة بوست 30 إبريل 2014، الرابط: https://www.sasapost.com/alves-banana/.

(3) أحمد بن الأمين الشنقيطى، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، المطبعة الجمالية، القاهرة، 1989: ص471، 472.

يمرُّ صاحب البشرة السوداء في المجتمع العنصريّ بمواقف مثل التحيُّز، فيتبنَّى موقفًا عدائيًا تجاه الآخر، أو يفترض أن الآخرين يزدرونه، وغالبا ما يكره الشخصَ الأجنبي، ومن ثمَّ يعاني تعصبا مضادا، ويميل إلى التجمع في أماكن خاصة مع أشباهه من السود كما نرى في تجمعات ومناطق السود في أمريكا- مثلا، أو تجمعات أصحاب البشرة السمراء مع بعضهم البعض خلال موسم الحج عند المسلمين، وكأنهم قد سلموا بمقولة "عالم الزنوج"، التي يثورون عليها ابتداء. إنهم يعانون الاضطهاد، ولا يستطيعون التبرؤ من تهمتهم، وهي لونهم.

4. ثورة الزنوج والأصول التاريخية للعنصرية

يذكرنا ذلك بحدث بالغ الأهمية في التاريخ العربي، وهو "ثورة الزنج"، التي انطلقت من البصرة ضد التمييز العنصري وهيمنة الأتراك/ البيض؛ حيث شكل التسلط التركي على مقاليد الأمور السياسية في هذا العصر سببا مهما لهذه الثورة. فكانت "ثورة الزنج" الشهيرة كانت ضد التمييز العنصري الذي مارسه الأتراك (البيض) ضد العرب والمسلمين. وقد شارك فيها كثير من العرب، ولكنها عرفت بثورة الزنج لغلبة اللون الأسود على المشاركين فيها"[(4)].

لقد وصل الأمر إلى اعتبار الأسود "آخرا" فيقول نادر كاظم: إن مجال الآخرية في السياق الوسيط كان متشعبا ومتعددا وممتدا بامتداد العلوم من العالم آنذاك. وكان الأسود واحدا من أولئك الآخرين الكثر الذين عرفتهم الثقافة العربية، وسعت إلى تمثيلهم بطرائق متعددة، إلا أن ما يميز تمثيلات السود هو ضخامة التمثيل الذي أنتجته الثقافة العربية عن هذا الآخر، وتكرار الصور النمطية عن حيوانيته وشهوانيته المفرطة، وامتدادها بقوة عموديا باستحكامها طوال قرون عديدة، وأفقيا على حقول معرفية متنوعة"[(5)].

يدخل السود قوقعة خاصة، حتَّى أنَّك تراهم في العصرِ الحديث يلحون على التغني بأفريقيا واعتبارها موطنهم الأساسي، ويتحدثون عن "الكهرمان الأسود"، ويربطون حالتهم النفسية ببعدهم عن بلادهم، وكيف أنها تمثل لهم "الفردوس المفقود" الذي تم حرمانهم منه، كما هو الحال في شعر محمد الفيتوري الذي علا شأنه، وعمل في السلك الديبلوماسي، ولكنه ظل مطاردا بهاجس اللون الأسود، فيقول -على سبيل المثال- في ديوانه (اذكريني يا أفريقيا):

فقير أجل.. ودميم،*** دميم بلون الغيوم
يسير فتسخر منه الوجوه*** وتسخر حتى وجوه الهموم
يحمل أحقاده في جنون*** ويحضن أحزانه في وجوم

3- السود: مجتمع داخل المجتمع

1. السود داخل المجتمع

يشكل السود مجتمعا داخل المجتمع وفقًا لآراء "جون ستيوارت ميل"(John Stuart Mill) (1806-1873) - أحدِ أعظم فلاسفة القرن التاسع عشر تمثيلا لهذا الاتجاه الكولونيالي- حيث كان يعتقد بأن الجماعات الثقافية الصغيرة تتخلى عن ثقافتها الموروثة لكي تنضم إلى ثقافة الأمم الأقوى. ولكن هذا الاعتقاد قد تغير عند فلاسفة

(4) شوقي ضيف: العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط 6، 1990، ص26-33.

(5) نادر كاظم: تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، تقديم عبد الله الغذامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص15.

السياسة المعاصرين فبدأوا يدافعون عن حقوق للأقليات ترسيخا لمفاهيم العدالة والمساواة والتطبيق الصحيح للديمقراطية.[6]

وعلى النقيض، فإن الأبيض عندهم-على مستوى الرمز- يرتبط بالحقيقة والنهار والفضيلة والشعلة التي تنير العالم، والثلج الذي يحمل الشفافية والخير حين يتحول ماء، بينما الأسود كالجريمة، والشيطان، وروح الشر سوداء، وسواد الأكباد معروف عندهم. لقد ربطوا السواد بطائر كالغراب- رمز التشاؤم عندهم.

2. الأصول تاريخية

لقد استخدم شعراء العرب القدامى العلاقة بين البشرة السوداء والعبوديَّةِ بهذا النمط الترابطي في شعرهم، "فجعلوا الأبيض للجمال والنقاوة والسلام، والأصفر للإرادة والمجد والثروة، والأحمر للسعادة والفرح، والأسود للهدم والمقاومة والعنف، والأخضر للبعث والنهضة والتجديد"[7].

وهكذا يحمل اللون الأبيض في الوجدان العربي "دلالات عكس ما يحمله اللون الأسود؛ ولذا استخدم رمزا للطهر والبراءة والتفاؤل، ولجمال اللون وإشراقه، وأخيرا رمزا للمهادنة والمسالمة"[8]. يذهب الجاحظ إلى أن حامل اللون الأسود يدل على "حسن الخلق وقلة الأذى، لا تراه أبدا إلا طيب النفس، ضحوك السن، حسن الظن. وهذا هو الشرف".[9]

ومن ذلك ما أورده (أبو منصور الثعالبي) في "باب مدح السود"، وكذلك ما جاء في قصة)عنترة)- على سبيل المثال-؛ حيث تبرز في ديوانه قضية اللون الأسود الذي يعيرونه به، واستمر الأمر واضحا حتى خصص أورده(أبو منصور الثعالبي)بابين للسود، أحدهما "باب مدح السواد" والثاني "باب ذم السواد". والبابان يعكسان ذلك الصراع اللوني في المجتمع العربي، كما يؤكدان أن الأساس هو قبح صورة الأسود، والاستثناء هو مدح السواد".[10]

ولعل إلحاح النصوص الإسلامية على المساواة بين الأبيض والأسود دليل على عمق التفرقة بينهما عند الناس في ذلك الوقت. لقد تغيّر مفهوم كلمة "عبد" بعد ظهور الإسلام، فلم تعد خاصة بذوي البشرة السوداء، وإنما صارت تشير إلى كل إنسان وقع في الأسر، أو حكم عليه بالبيع والشراء، أو كان مجهول النسب، ويعلل العقاد لهذا فيقول: "فقد غلب على بعض العرب سمرة تضرب شديدا إلى السواد، وكان من سادتهم من وصف بكلحة اللون، وشابه الزنج بالإهاب الخشن والبشرة الفاحمة، وعاشوا ثمة وهم يحسبون مكان جيرانهم ويحسب جيرانهم مكانهم، فوجدت بينهم أسباب المفاخرة ولم توجد بينهم أسباب العداء اللدود.[11]

---

(6) ويل كيمليكا: أوديسا التعددية الثقافية، ترجمة: إمام عبد الفتاح، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 377، 2015، ص10، من مقدمة المترجم.

(7) محمد حافظ دياب: جماليات اللون في القصيدة العربية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الخامس، العدد الثاني، مارس، 1985، ص 43.

(8) عبد الحميد إبراهيم: قاموس الألوان عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص205.

(9) عبد الله المغامري الفيفي: الصورة البصرية في شعر العميان، دراسة نقدية في الخيال والإبداع، السعودية، النادي الأدبي بالرياض، 1997/1417، ص 15.

(10) للمزيد يمكن مراجعة الباب الثاني من: نادر كاظم: تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص وما بعدها.

(11) العقاد: داعي السماء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013، ص65- 68.

4- العنصرية في الأدب

1. الأدب والمجتمع

إذا ربطنا بين العنصرية والأدب فنحن لا نبتعد عن فهم الأدب بوصفه انعكاسا للمجتمع وتمثيلا لأبرز مظاهره، وأكثر أنماط التعبير الإنساني تلخيصا لجوهر العلاقات بين البشر. ويزخرُ الأدب العربي بكثير من المناظرات التي يتحيز فيها بعضهم للون الأبيض على حساب الأسود، فيرد الآخر عليه بتحيز مضاد. ويكثر المفضلون للون الأبيض من إظهار ارتباطه بالنهار والحليب، وغيرهما من مظاهر ذات أثر طيب في الحياة الجاهلية، ويربطون بين اللون الأسود والليل والفحم، وغيرها من مظاهر ذات أثر سلبي في حياة الجاهلي القديم.

لقد صادف التحيز للون الأبيض هوى في نفوس الكثيرين، فراحوا يتعاملون مع الآيات التي تربط اللون الأسود بالعاقبة السيئة والمصير المظلم. لقد وجد النسق الثقافي راحة في تفسير اللون الأسود على الحقيقة، مع أن المجاز واضح فيها أشدَّ الوضوح.

ويحفل تاريخ الأدب بذكر الجواري السود اللواتي يمشين بجوار الأميرات البيض؛ لإظهار جمال الأميرة البيضاء عبر التناقض الذي يتصورون وجوده بين اللونين الأبيض والأسود. لم تفهم أغلب المرويات القديمة أن هناك "تكاملٌ" طبيعي بين اللونين، ولم يكن الأمر-إطلاقا- من السهل حمله أو تفسيره عبر التناقض أو التنافر أو التضاد. اللون ليس أداة للاستخدام مهما ارتفعت قيمته عند بعض الناس، أو انخفضت عند آخرين. يرتبط السود- تبعا لفهمنا- بالتنميط. إنهم نموذج مختلف، ولا يتم التعامل معهم على أنهم بشر، وإنما على أنهم مجرد عدد محيط بالبيض. وقد شارك الشعراء السود في حملة الاستخفاف بأنفسهم، فكانوا يرون أنفسهم أقل شأنا، ومن ذلك هجاء(أبو دلامة)لنفسه حين دخل على الخليفة)المهدي)وهو جالس بين جمع من السادة، والسادة كلهم من البيض، فهدده المهدي بقطع لسانه إن لم يقم بهجاء أحد من الموجودين، فوجد الشاعر الأسود الحلَّ في هجاء نفسه! مؤثرا الاستجابة للمجتمع وانحيازه للبيض من جهة، ومراعيا لياقة المجلس بعدم ذكر أحد من ضيوف الخليفة بسوء قائلا:

ألا أبلغ إليك أبا دلامة *** فليس من الكرام ولا كرامة
إذا لبس العمامة كان قردا *** وخنزيرا إذا خلع العمامة
جمعت ذمامة وجمعت لؤما *** كذلك اللؤم تتبعه الذمامة
فإن تك قد أصبت نعيم دنيا *** فلا تفرح فقد دنت القيامة

فضحك كل من كان بالمجلس، ولم يتبق منهم أحد إلا أجازه، والموقف بحكاياته الفرعية موجود في كتب كثيرة.[12]

وفي حكاية الملكة البيضاء زوج شهريار التي خانته مع العبد، والتي ستكون الحكاية الإطار لأعظم نص سردي يعرفه العرب والغربيين على حد سواء، وهو (ألف ليلة وليلة) وتجارة الرقيق التي كانت من الأمور العادية لاستعمالهم في خدمة البيض، وفي مصر-مثلا- كانت تجارة العبيد منذ بدء حضارتها حتى عشرينات القرن العشرين. ويحكون عن العبيد ما يذمهم للغاية؛ إنهم يقطعون شهوتهم (يُخصُونهم) خوفا منهم على النساء، ويقولون: إن العبد إذا شبع تغزل بالنساء وإذا جاع هجاهم، ويقبلون من الشاعر الحر ما لا يقبلونه من العبد.[13]

(12) شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الرابع، تحقيق يحي الشامي دار، الكتاب العلمية بيروت، 2004، ص44.

(13) راجع محمد بدوي، بلاغة الكذب: نصوص على نصوص، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية – 89، 1999 ص50، وما بعدها.

والثقافة العربية تفتخر بالشاعر، ولا تملك إلا تمجيده حتى تفتخر القبيلة بالشاعر أو الناقة أو الخطيب، ولكنهم ينكرون مكانة الشاعر إذا كان أسود اللون. إن القبيلة مفهوم طبقي لا يبتعد عن" النبلاء" في أوروبا، أو "فرعون" في مصر، ولكن الأمر عندنا طبقات من العنصرية، وتراكمات بعضها فوق بعض. لقد كانوا طبقيين، يعاملون الناس على حسب مكانتهم حتى في آداب المجلس، أو ترتيب الجلوس، أو تقديم الطعام والشراب، فضلا عن الزواج وغيره.

لقد اعتبرت القبيلة الشعرَ ديوان العرب يحوي أيامهم وأمجادهم وحروبهم، ويشكل الآلة الإعلامية ومبعث الفخر نجده يتأثر بلونه حتى ولو كان عنترة. لا يشفع اللون في مقابل الشعر، فتبعده القبيلة وتنكره أعرافها. انظر إلى الشاعر(سحيم)- مثلا-حين يُلخص نفسه قائلا إنه: "أسود مما يملك الناس"، وهذا هو العبد في شبه الجزيرة العربية. إننا ربما نفهم موقف قبيلة عنترة من رفض كون العبدِ له ماضٍ مشرِّف؛ إنَّ العبدَ في نظرهم لا يتجاوز حدَّ كونه نزوةً عابرةً لا يجوز اقترانها بمن له أصلٌ ونسب.

والربط بين اللون الأسود والعبودية بديهي ومنتشر في أدبياتنا العربية، وقد شارك (أبو الطيب المتنبي) في ذلك الأمر حين خلّدها في هجاء(كافور) حاكم مصر النوبي، الذي كان يسمه بعبد الإخشيد فيقول:

لا تشتر العبد إلا والعصا معه *** إن العبيد لأنجاس مناكيد

قد يعترض أحدهم بأن هذه الأمور من عمل خيال المبدع، ولكنه بعد قليل يعود ليؤكد أن الأدب انعكاس للمجتمع، ومرآة له، وإذا كانت العنصرية اعتداء على الإنسان وإنسانيته فإن واجب الأدب أن يعدِّلها، لا أن يشخصها، وأن يتجاهلها، لا أن يؤكدها. لقد سيطرت نظرة القدماء على معتقدات المعاصرين فذهب إلى تفسير امتداد العنصرية بأن "العمليات الذهنية التي، كما يتصور علم النفس المعرفي، تقف وراء ما نفعل وما نقول، وتتكون منها إدراكاتنا للعالم". [(14)]

2. تقديم اللون على الإبداع

اتخذت الثقافة العربية من الشعراء السود موقفا عنصريا. لم يشفع لهم شعرهم، وإنما غلب اللون على موهبتهم، حتى جاءت تسمية بعض الشعراء السود كانت عنصرية للغاية، فأطلقوا على بعضهم "الشعراء الأغربة" – جمع غراب- على الشعراء الذين تسرب إليهم السواد من أمهاتهم الإماء، والذين لم يعترف – في الوقت نفسه- بهم آباؤهم العرب، أو اعترفوا بهم على نطاق ضيق منهم. لقد ضاق المجتمع بمحاولات التحرر، فحاول الانتقام منهم.

والعرب تقول: أغربة العرب سودهم، شُبّهوا بالأغربة في لونهم، والأغربة في الجاهلية (عنترة بن شداد)، و(خفاف بن ندبة السلمي)، و(أبو عمير بن الحباب السلمي) أيضا، و(سليك بن السليكة)، و(هشام بن عقبة بن أبي معيط)، وقيل إن عدد الشعراء الأغربة ثلاثة، وقيل أربعة وقيل سبعة وقيل أكثر وهم عادة يسجلون أسماء المشهورين، وما يقصده البحث هو الظاهرة، وليس العدد المحدد.

والشعراء السود تُصوّر أشعارهم التمزق بين عالمين: عالم الإنسان العادي، وعالم الإنسان الأسود الذي يحيا – مضطردا- بمجموعة من العقد، منها:

(14) دنيس فوكس، إزاك بريليتينسكي، ستيفاني أوستين: مقدمة في علم النفس النقدي، ترجمة وتقديم: فكري محمد العتر، مراجعة: فيصل عبد القادر يونس، المشروع القومي للترجمة، مصر 2732، مصر 2016، ص457.

1. عقدة اللون

مثلت عقدة اللون مشكلة كبيرة لأصحاب البشرة السوداء فعلى سبيل المثال ظلت كلمة "ابن السوداء" تلاحق عنترة حتى وهو عائد من المعارك بفخر القبيلة، وانتصارها. إن علاقة الأسود بالقبيلة متوترة للغاية-في أغلب الأحوال-، وإذا كانت مستقرة فهو الاستقرار الذي يسبق العاصفة؛ إذ إنها لا تذكر أفضاله إلا وقت الحاجة، ما جعل الشعراء السود يندبون حظهم التعيس. لقد أورثهم ذلك التجاهل طابع النضال والثورة على الأوضاع المفروضة عليهم، وحاولوا التأثير في مجتمعهم، فقاموا بحركات مقاومة كثورة الزنج.

2. الفقر

يظهر كثيرا في شعرهم الشكوى من الفقر؛ فهم عبيد يعانون الجوع الذي يصل إلى حد السغب، أو يحترف التسول كما هو الحال مع "أبو دلامة" الذي لم يكف عن سؤال الناس، فكان شعرهم وسيلة لتصوير فقرهم وحاجتهم للمال، فيصف أحد الباحثين حالهم، فيقول: "الجانب الآخر للعصر الجاهلي، الجانب المتمرد على أوضاع وتقاليد قاسية، وهم الخلعاء والأغربة الذين شذوا عن قانون القبيلة، وحملوا السيف لإعادة التوازن الاجتماعي لحياة خلت من المقاييس، في بيئة كان فيها الفقر المدقع يقتل البعض من الجوع، ويوقع الأغنياء في التخمة".[15]

3. الحب

كان الحب بالنسبة لهم وسيلة للتخفيف من أعباء الحياة وهمومها، أو كان كالشجرة التي يستريحون تحتها من عناء الحياة، غير أنه لا سبيل لتحقيقه مع فقرهم، وحاجتهم، وليس أمامهم إلا انتظار المستحيل حتى يتحقق حلمهم بالارتباط بالحبيبة. وحين يمدون عيونهم خارج دائرة المرأة السوداء قد يكون مصيرهم القتل، ويشيع عندهم أن "العشاق مساكين"، "والحب فُرقة"، و"الحب داء"، فلا مكان لمباهج الحب ونضارته. ويشيع عندهم التشبيب والغزل الفاحش بعيدا عن الغزل العذري والعفيف. وفي معلقة عنترة بن شداد- على سبيل المثال- نجده يرسل امرأة للتجسس على صاحبته. والمعاملة العنصرية تسبب لهم توترا دائما، فيحاولون إحداث الصدمة للناس، وإظهار أنهم بشر يعشقون، ويمارسون الجنس، ويحلمون به. "إن اللذائذ الفظة التي هي مجرد إشباع للشهوات تقيدنا بالطبيعة في الوقت الذي تجعلنا فيه مبتذلين"[16]

4. الحديث عن الموت

يسيطر على شعرهم الحديث عن الموت، فهم يشعرون أنه قريب منهم جدا، وليس بينهم وبينه مسافة طويلة؛ فهم يتخذون من السيف وسيلة للحياة، ويحترفون القتال، ويتم استئجارهم في المعارك، وتقدمهم القبائل لفداء السادة الأشراف الذين لا يشتركون في المعارك إلا قليلا، ويكثر عندهم وصف الحياة بأنها قصيرة. إنهم مجرد آلة للدفاع عن القبيلة التي تجني غنائم الحروبِ التي يشارك فيها السود. إنهم لا يبالون بالموت الذي يتحول عندهم إلى طريق للتطهر والخلاص.

5. شيوع الهجاء

وذلك تعبيرا عن سخط شديد على المجتمع وأهله، بخاصة هجاء الأقربين والأهل، والذين يراهم العبيد سببا أساسيا فيما يعانونه من إقصاء. لقد كثر عندهم التعبير عن ظلم أهلهم لهم، بعد إقصائهم، أو طردهم أحيانا،

(15) محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الجاهلي: أخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية، 1990، بيروت، ص 3.

(16) جان بول سارتر: بودلير: ترجمة جورج طرابيشي، دار أزمنة، عمّان، 2018، ص 80، 81.

حتى تحولوا إلى " فئة خاصة لها سمات محددة تختلف عما تعارف عليه المجتمع، ومن هذه السمات شعورهم بالاعتداد بالنفس دون الأهل، ووسيلتهم للوصول إلى أهدافهم العدوانُ".[17]

6. المدح

المدح للتكسب وتلبية متطلبات الحياة، إنهم يجارون المجتمع، ويحاولون التقرب إليه في بعض الأحيان؛ إذ إن تعاملاتهم لم تكن على وتيرة واحدة، ولا يلتزمون التصادم معه على الدوام. لقد كان المدح في شعرهم ينبع عن الحاجة، وليس ناتجا عن عاطفة صادقة، وهو صادر عن لسان الشاعر وليس قلبه العامر بالسخط على المجتمع، وبخاصة القادة الذين أجبروه على مدحهم.

7. الحماسة

اتخذ بعضهم موقفا دفاعيا عن اللون الاسود، وحاولوا هجاء العرب، وكانت القصيدة القصيرة سمة أساسية عندهم؛ ربما لأنها تأتي في غرض واحد محدد، ويكون فيها موضوع وحيد، أو تشير إلى موقف محدد بدقة.

8. المقاومة

كان البحث عن مأوى تحت الشمس دافعا أصيلا لكتابة الشعر عندهم، ولقد حاولوا الاندماج في المجتمع دون أن يتنازلوا عن حقوقهم الشرعية، يستوي في ذلك الرجال من الشعراء، وكذلك النساء، حتى قال عنهم الجبرتي: "وأما الجواري السود فإنهن لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى، ذهبن إليهم أفواجا فرادى وأزواجا، فنطط الحيطان، وتسلقت إليهم من الطيقان، ودلوهم على مختبآت أسيادهن وخبايا أموالهم ومتاعهم، وغير ذلك [18]وربما يدل ذلك على سبق الجواري السود بالمطالبة بالحرية.

وكذلك فقد كانت "ثورة الزنج" في البصرة ثورة على النظام الإقطاعي في العصر الإسلامي طالبت بالعدل الاجتماعي.

9. النرجسية عندهم وكثرة ضمير المفرد

هناك ملاحظة بارزة في شعرهم تتمثل في اعتماد ضمير المفرد بدلا من ضمير الجمع؛ ربما ليلفت الأنظار إليه، أو لأنه لا يعتبر نفسه مندمجا في المجموع والمجتمع بدرجة كافية، أو لأن حاجز اللون يجعله معزولا. "والعرب يسمون ثلاثة من شعرائهم الفرسان أغربة العرب:(عنترة بن شداد، وخفاف بن ندبة، والسليك بن السلكة") ويضيف بعضهم(تأبط شرا) كما يقول أحمد الحوفي[19]، كما أن عنترة كان يحاول نفي لونه بادعاء العقل والحكمة ومنه قوله حين سئل: أنت أشجع العرب وأشدها، قال: لا، وحين قيل له: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزما، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما، ولا أدخل إلا موضعا أري لي منه مخرجا، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله"[20] وقد ربطه بعضهم بأخيل ACHILLES، وسموا قصته "إلياذة العرب"[21]

(17) حسن جعفر نور الدين: موسوعة الشعراء الصعاليك، ج1، ص15، 2007، رشاد برس، بيروت.

(18) الجبرتي: عجائب الآثار: (3/ 161، 162) دار الكتب والوثائق القومية، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب القومية بالقاهرة، 1998.

(19) أحمد الحوفي: الحياة العربية في الشعر الجاهلي، مكتبة ومطبعة نهضة مصر، 1949، ص159.

(20) تجريد الأغاني تأليف ابن واصل الحموي القسم الثاني- الجزء الأول تحقيق طه حسين وإبراهيم الإبياري، مطبعة مصر 1957، ص1432.

(21) شوقي ضيف: الشعر الجاهلي، ص370.

لقد جاء التعامل بمبدأ عنصري يراهم مواطنين من الدرجة الثانية، حتى في جمع شعرهم، فأهملوا جمعه، وتركوا الكثير منه. يرى يوسف خليف أنه ما من شك في أن جانبا كبيرا من شعر السليك قد فُقد، فليس من المعقول أن كل ما نظمه السليك من شعر لا يعدو تلك الأبيات القليلة المتفرقة في مصادر الأدب العربي المختلفة.[22] إننا نلاحظ أيضا أنها مجموعة السليك الفنية لا تحتوي حديثا من هذا الجانب من حياته؛ إنها لا تصور جوانب حياته الأخرى تصويرا كاملا أو شبه كامل.

كما أن شيوع العنصرية في السرد واضحة في أعمال كثيرة، ولعل هذه النظرة الواحدة هي السبب في تنميط شخصيات روائية مثل البواب (حارس العقار) والخادم النوبي الأسود، والتعامل معهم وكأنهم قطع أثاث يمكن تغييرها أو الاستغناء عنها نهائيا. ولعلنا نذكر صورة "ابن البواب" في رواية "عمارة يعقوبيان" لـ(علاء الأسواني).

والأمر قديم، نذكر منه ما جاء في "ألف ليلة وليلة"؛ حيث تربط السود بالعبودية، وخيانة الأسياد وتقرنهم بصورة حيوانية من مثل ما ارتكبه العبد مع زوجة شاه زمان، ثم ما ارتكبه عبيد شهريار مع زوجته والجواري".[23]

يستمر الأمر مع الكاتب الروائي السوداني (الطيب صالح) في روايته" موسم الهجرة إلى الشمال" والتي صدرت طبعتها الأولى 1959، فقد أفرطت في الحديث عن فحولته الجنسية المفرطة، تلك التي كان يراها هو ذاته وسيلته لغزو إنجلترا (العالم الاستعماري/البيض)، ولكنه-في النهاية- استسلم وعاد مهزوما وحيدا في قرية معزولة على ضفاف النيل. وكذلك الحال مع الأسود في قصة "بالأمس حلمت بك" لبهاء طاهر. كما نجد "إدريس علي" يصر على زيادة عنوان شارح لروايته المسماة "دنقلة" فيضيف عنوانا ثانيا وهو: "رواية نوبية "، وذلك كي يلفت به انتباه القارئ إلى خصوصية الرواية وتوقعات "لونية" خاصة بها. هل يبتعد الأمر-في جوهره- حوادث قتل السود في أمريكا؟. وتحتاج دراسة العنصرية في الرواية العربية إلى عمل خاص تفصيلي، يخرج عن حدود هذه الدراسة.

5- في السير الشعبية

في السير الشعبية كان اختيار الجماعة الشعبية لأبطالها من ذوي البشرة السوداء تحديا للعدو الأبيض، ممن ساعدوا في إنهاء الحضارة الإسلامية والعربية عقب سقوط بغداد، وكأن اللون الأسود بمثابة قوة رمزية دالة[24]. ولا يبتعد ذلك التوجه عن جوهر الثقافة الشعبية ذاتها؛ إذ يحفل مستوى الأدب الشعبي بأمثال كثيرة تؤكد تفوق اللون الأبيض على الأسود؛ من مثل قولهم: (القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود)، وعليه فقد ارتبط اللون الأسود بتوقع الشر على الدوام.

ونظرا إلى استشعار الوجدان الشعبي العربي لخطورة هذه العنصرية اللونية في المجتمع، وما سيترتب على ذلك من إقصاء اجتماعي وتهميش لطبقة كبيرة في المجتمع، وهو ما يؤدي إلى عواقب سيئة تؤدي إلى تفتيت المجتمع وتقسيمه، هذا في الوقت الذي كان ينحو فيه المجتمع العربي نحو التوحد والتجمع لمواجهة العدو الأجنبي الذي يهدد الوجود العربي؛ لذا انتصرت هذه السير لحاملي هذا اللون، ورسمت صورة هذا البطل بالمنقذ والمخلص لأمته، وهي الصورة التي تلتقي مع رمزية الشارة السوداء التي حملها العباسيون (وهي الفترة التاريخية نفسها التي بدأت فيها هذه السير في التبلور الفني) بدلالاتها على القوة والمرجعية وطوق النجاة[25].

---

(22) يوسف خليف: الشعراء الصعاليك، دار المعارف، القاهرة، 1978، ص 224- ص250. تمام

(23) ألف ليلة وليلة، المجلد الأول، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (د. ت).

(24) سليمان العطار: إنما الأسود عربي، "مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العددان (68، 69) يناير-مارس، 2006.

(25) خالد أبو الليل: الأسود مهمشة: قراءة ثقافية في السير الشعبية العربية، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد 76، يوليو 2016، ص 57.

6- الخاتمة

1. إن الظواهر العنصرية في الشعر العربي، وغيره، حاضرة، وأصيلة، وليس أمام الباحث العربي أن ينكرها أو أن يتجاهلها، وإنما عليه أن يبحث فيها على مقولات النقد الثقافي الذي يدرس الأدب بوصفه ظواهر قبل أي اعتبار آخر، وقد تكون الظواهر العنصرية أكثر حضورا في الروايات والأدب السردي.
2. ليس من المفترض أن ننكر وقوعها أو أن نظن انفراد الإبداع العربي بها دون غيرها من اللغات؛ فهي ظاهرة حاضرة على تعدد اللغات والثقافات واختلافهما. ويتفاوت حظ الإبداع العربي بين الشعر والرواية والسير الشعبية، ويجتمع في ذلك كله على خلفية ترى اللون أكثر أهمية من الإبداع ذاته في بعض الأحيان.
3. لقد تآزرت جهات عدة على ازدراء اللون الأسود، ومن ذلك في العصر الحديث نظر المزاج العربي إلى اللون الأسود بوصفه مفتقرا للسطوع والوضوح الذين يراهما في اللون الأبيض، فرأوه خلفية للبياض، وأقل شأنا منه، وارتبط اللون الأسود في معظم الدول بلون الحداد، فهو اللون الذي يتمّ ارتداؤه في الجنازات، ويحمل دلالات الشؤم والغموض، والتمرد، والرسمية، والعمق والتحدي وفي الوقت ذاته يرمز إلى الاكتئاب والموت والشر، وعادةً يتصف الأشخاص الذين يحبون اللون الأسود بالإرادة القوية والغموض والاحترام.
4. حديثا يقابل اللون الأسود ببعض الرفض، ففي علم الفيزياء توجد إشكالية حول اعتبار اللون الأسود من ضمن الألوان فعلياً؛ لأنّ الألوان الفعليّة فقط هي التي تشكّل ألوان الطيف، وفي علم النفس، فهو لون الخوف والقوة، وهو مصدر لإظهار السلطة، وهو لون قادر على امتصاص الطاقة السلبية، وقد يُسبّب حدوث الاكتئاب.
5. يحتاج الأمر إلى دراسات متعددة تحيط بالظاهرة من أكثر من جهة، وحسب هذا البحث أن يكون فاتحة لبحوث أخرى.

قائمة المصادر المراجع.

- القرآن الكريم
- إبراهيم، عبد الحميد (1989): قاموس الألوان عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة
- أبو الليل، خالد (2016): "الأسود مهمشا: قراءة ثقافية في السير الشعبية العربية"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد 76، العدد 6، يوليو، القاهرة
- بدوي، محمد (1999): بلاغة الكذب: نصوص على نصوص، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية – 89، القاهرة
- الجبرتي، عبد الرحمن (1998): عجائب الآثار: (3/ 161، 162) دار الكتب والوثائق القومية، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب القومية، القاهرة
- الحموي، ابن واصل (1957): تجريد الأغاني، القسم الثاني- الجزء الأول تحقيق طه حسين وإبراهيم الإبياري، مطبعة مصر، القاهرة
- الحوفي، أحمد (1949): الحياة العربية في الشعر الجاهلي، مكتبة ومطبعة نهضة، القاهرة
- الخطيب، أحمد (2014): "«داني ألفيس» يأكل موز العنصرية المفيد!"، موقع ساسة بوست 30 إبريل 2014، https://www.sasapost.com/alves-banana/ تاريخ التصفح، 20/03/2019
- خليف، يوسف (1978): الشعراء الصعاليك، دار المعارف، القاهرة
- دياب، محمد حافظ (1985): "جماليات اللون في القصيدة العربية"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الخامس، العدد الثاني، مارس، القاهرة

- سارتر، جان بول (2018): بودلير: ترجمة جورج طرابيشي، دار أزمنة، عمّان
- الشنقيطي، أحمد بن الأمين (1989): الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، المطبعة الجمالية، القاهرة
- ضيف، شوقي (1990): العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط 6، القاهرة
- عبد الفتاح، إمام (ترجمة) (2015): ويل كيمليكا: أوديسا التعددية الثقافية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 377، الكويت
- العطار، سليمان (2006): "إنما الأسود عربي"، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العددان (68، 69) يناير-مارس، القاهرة
- العقاد، عباس محمود (2013): داعي السماء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة
- عوض، لويس (1968): البحث عن شكسبير، دار المعارف، القاهرة
- فوكس، دنيس: إزاك بريليتينسكي، ستيفاني أوستين (2016): مقدمة في علم النفس النقدي، ترجمة وتقديم: فكري محمد العتر، مراجعة: فيصل عبد القادر يونس، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2732، القاهرة
- الفيفي، عبد الله المغامري (1997): "الصورة البصرية في شعر العميان"، دراسة نقدية في الخيال والإبداع، السعودية، النادي الأدبي، الرياض
- كاظم، نادر (2004): تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، تقديم: د. عبد الله الغذامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت
- مروة، محمد رضا (1990): الصعاليك في العصر الجاهلي: أخبارهم وأشعارهم، ص3، دار الكتب العلمية، بيروت
- نور الدين، حسن جعفر (2007): موسوعة الشعراء الصعاليك، ج1، رشاد برس، بيروت
- النويري، شهاب الدين (2004): نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الرابع، تحقيق يحي الشامي دار، الكتاب العلمية، بيروت